الأسلوب وطرائق العرض في أدب الجاحظ وأثره في أدباء العصور اللّاحقة إلى نهاية القرن الخامس الهجريّ

Hanaa Al MAVAS*

ملخّص البحث:

تعدّدت صور تأثير أدب الجاحظ فيمَن جاء بعده، فمن المحاكاة والتّقليد إلى الاستيحاء العامّ للأفكار إلى أشكالٍ كثيرةٍ كالمعارضة، والمخالفة ونقض الرأي، وأساليب العرض وطرائقه، والمدح والقدح .

ويسعى هذا البحثُ الى استجلاء التّأثير الذي تركته آثار الجاحظ الأدبيّة والفكريّة في مجال الأسلوب وطرائق التّعبير، إذْ يجدُ الباحثُ عدداً من النّقّاد والأدباء والكتّاب الّذين راقَهم أسلوبُ الجاحظ وطريقتُه في الأداء، فاستفادوا منه وتأثّروا به، كما يحدّد البحثُ بواعثَ هذا التّأثّر من إعجابٍ بأسلوبه وفكره وأدبه، وتقديرٍ لأحكامه وآرائه وإعلاءٍ لمنزلته العقليّة وقوّته الأسلوبيّة والبيانيّة.

الكلمات المفتاحية :

.الأسلوب ، طرائق العرض، أثر، الجاحظ .

Cahız'ın Edebi Eserlerindeki Anlatım Biçimi ve Sunuş Yöntemleri

Özet:

Câhız (150-255 H) hem Arap düşüncesi, hem de edebiyat alanında bıraktığı öğretici eserler le Arap kültüründe iz bırakmış en bir şahsiyettir. Çok yönlü ilmi ve sanatçı kişiliği, telif ettiği yüzlerce eser ve nadir yetenekleri insanların zihninde yer etmiştir. Bütün bunlar onun kişiliğinin yanı sıra, bir edip ve tarihçi olmasından ileri gelmektedir. Bu çalışmamızda Cahız'dan sonra yaşayan ve onu örnek alarak kendi yazı ve telif hayatında onun sanat üslubunu ve edebi yöntemlerini kullanan edebiyatçılar ve eleştirmenler üzerinde Cahız'ın üslubunun gözle görülür etkisini ele aldık. Bu bağlamda, onun düşüncesi, edebi anlayışı ile zihinsel ve sanatsal yeteneklerine olan sarsılmaz inanç da çalışmamız kapsamında açıklanmış ve değerlendirilmiştir.

Anahtar kelimeler

Cahiz, Anlatım Biçimi, Sunuş Yöntemleri, Etki.

* Dr, K.Ü. İslami İlimler Fakültesi Öğretim Üyesi. e-mail, hanaaharami@gmail.com

The way of expression in Cahiz's literary works and his methods of presentation

Abstract :
Cahiz (150-255 H) is one of the most prominent figures, who has left some educational works in the Arab culture or Arabic thoughts. The multi-faceted scientific and artistic personality, the hundreds of works and with his rare talents has been placed in the minds of people. All of this is due to his personality as well as being a historian.In this study, we have discussed the visible effect of Cahiz's style on the authors and critics who lived after him and who used his artistic style and literary methods in their writings by taking samples from Cahiz. In this context, his idea, his literary understanding and his unshakable belief in his mental and artistic abilities have been explained and evaluated within the scope of our work.
Key words:
Cahiz, Expression, Presentation Methods, Effect.

المقدّمة وأهميّة البحث :

لقد كان للعصر العبّاسيّ (132–656 هـ) علماؤه المتميّزون الّذين نهضوا بفكره وثقافته، وشعراؤه المبدعون الّذين عبّروا عنه بصورٍ متألّقة، وأساطين كتّابه الّذين ملؤوا الدّنيا ترسّلاً . وكان عمرو بن بحر الجاحظ (150 – 255 هـ) واحداً مِن أبرز مَنْ أثْرَوا معين الثّقافة العربيّة بآثارٍ تعلّم العقل أوّلاً والأدب ثانياً، وكان رأساً من رؤوس المعتزلة، كما كان مزيجاً هائلاً من الطّاقات العلميّة والفنيّة، حيث ملأ الدّنيا وشغل النّاس بملكاته النّادرة ومهاراته العظيمة، فغذّى العقول والقلوب وأمتع الآذان وأزال الملل عن النّفوس، فكان فيلسوفاً مسامراً وأديباً مؤرّخاً وراويةً متكلّماً . وقد أراد الجاحظُ أن يكون رجلَ زمانِه وموسوعةَ عصره، فذهب في الكتابة الفنية كلّ مذهبٍ ناشراً علم العصور في أسلوب رائق وأدب فيّاض.

ويحاول هذا البحث إظهار الكيفيّة التي أثّر فيها أسلوب الجاحظ فيمن أتى بعده من الباحثين، وتوضيح البواعث العامّة التي كانت وراء محاكاة أسلوب الجاحظ.

الأسلوب وطرائق التّعبير:

أ- الأسلوب وخاصيَّاته:

اتّسم أسلوب الجاحظ بجملة من الخصائص ميّزته عن غيره من أساليب عصره. ومن أهمّ تلك الميزات التّكرار والتّرديد والازدواج أو التّوازن وغيرها.

والهدف من التّكرار هو تبليغ المعنى وإيضاحه وإبرازه في أحسن صورة. فالجاحظ يورد المعنى الواحد في عدّة جمل وعبارات، إلحاحًا عليه، وإحاطةً بكلِّ نواحيه، ومبالغةً في الشّرح والتّوضيح. فمن ذلك ما قاله عن الألفاظ والمعاني: ((المعاني القائمةُ في صدور النّاس، المتصوّرةُ في أذهانهم، والمتخلّجةُ في نفوسهم، والمتّصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورةٌ خفيةٌ، وبعيدةٌ وحشيّة، ومحجوبةٌ مكنونةٌ...))[1]. فالمعنى الأساسيّ هنا أنّ المعاني مستورة في نفوس النّاس لا تُعرف إلّا بالإفصاح عنها، إلا أنّ الجاحظ أبى إلّا أن يفتنّ ويلحّ في المعنى، فقدّمه في هذه السّلسلة المتتابعة من الألفاظ، فكأنّ الجاحظ يطرب لموسيقى ألفاظه ووقعها في مسامعه، كما يحرص على دقّة معانيه وتفصيلاتها.

أمّا التّرديد فالأمثلة عليه كثيرة في نتاج الجاحظ، فمن ذلك قوله في قصّة قاضي البصرة عبدالله بن سُوَّار وإلحاح الذّباب: ((فلا يزال منتصبًا لا يتحرّك له عضوٌ.. فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة الظهر ثم يعود إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة العصر ثم يرجع لمجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب، ثم ربّما عاد إلى مجلسه..)) [2].

ونجده في البخلاء يردّد النّعت ذاته كقوله في قصّة محمّد بن أبي المؤمّل: ((لم يكن أكله إلّا على قدر أكله، إذا أتى بذلك في طبق نظيف مع خادم نظيف، عليه منديل نظيف))[3].

فالتّرديد إذًا من السِّمات المميّزة في كتابة الجاحظ، وهو مرتبط بالتّكرار ومتمِّم له، فهو أيضًا يساعد على توضيح المعنى وتثبيت الأفكار في ذهن القارئ.

وممّا يميّز كتابته أيضًا أسلوب الازدواج أو التّوازن في جمله وعباراته. والتّوازن هو ((تعادل الفقرات على نحو السّجع، ويختلف عن السّجع بعدم التقيّد بالقوافي. ويرى البيانيّون أنَّ حسنَه قائمٌ (كحسن السّجع) على ما يلي: . أن تكون الفواصل على زنة واحدة. . ألاَّ تكون فاصلة الجزء الأوّل بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثّاني. . أن تكون العبارات قصيرة متساوية)) [4].

ونجد هذا الأسلوب في رسالة الشّكر التي قصد بها مدح وزير المتوكّل، وشكر نعمته لديه. فصدَّرها بذكر حقيقة الشّكر وبيان مقاصده. ولا يخفى علينا ما فيها من توازنٍ وقصر عبارة. كقوله: ((وليس – أبقاك الله – شيءٌ أحوج إلى الحذق، ولا أفقر إلى الرِّفق من الشّكر النافع والمديح النّاجع، الذي يبقى بقاء الوشم، ويلوح كما يلوح النجمُ، كما أنّه لا شيء أحوج إلى وُسْع الطّاقة،

(1) البيان والتبيين، ج1، ص 75.
(2) الحيوان، ج3، ص 343.
(3) البخلاء، ص 95.
(4) المقدسيّ، أنيس: تطوّر الأساليب النّثريّة في الأدب العربيّ، منشورات الدائرة العربية في جامعة بيروت الأميركية، (د.ت) ج1، ص 138- 139.

وإلى الفضل في القوة وإلى البسطة في العلم، وإلى تمام العزم – من الصّبر. وعلى أنّ الشّكر في طبقات متفاوتة، ومنازل متباينة، وإنْ جمعها اسمٌ، فليس يجمعها حكمٌ ...))[5].

وفي رسالته "الحاسد والمحسود" يتقيَّد بالسّجع والطّباق – على غير عادته – وهذا نادرٌ جدًّا في كتابته. وتحدِّد المقدّمة موضوع الكتاب وهو الحسد: أصله ومظاهره وخفاياه، وتفشّيه في العلماء أكثر من الجهلاء، وفي الأقارب والصّالحين والجيران، وأسباب ذلك. يقول: ((كتبت إليَّ – أيدك الله – تسألني عن الحسد ما هو؟ ومن أين هو؟ وما دليله وأفعاله؟ وكيف تُعرف أموره وأحواله، وبم يُعرف ظاهره و مكتومه، وكيف يعلم مجهوله و معلومه، ولِم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء؟ ولِم كثُر في الأقرباء وقلَّ في البعداء؟ وكيف دبَّ في الصّالحين أكثر منه في الفاسقين؟ وكيف خُصَّ به الجيران من بين جميع أهل الأوطان)) [6].

ويشير الدكتور أحمد الشّايب إلى صفات أسلوب الجاحظ، من تكرار وترديد وتوازن وقصر عبارة، في قوله: ((فالجاحظ يتحرَّى دقّة الألفاظ ليحسن الوصف، ويردّد الجمل أو بعض عناصرها ليكمل معانيه ويؤكّدها، ويلجأ إلى الازدواج والتّقسيم الموسيقيّ دون التزام السّجع، ويستخدم الاعتراض داعيًا أو محترسًا، ويطنب ملحًّا وراء الأفكار والصّور، ويكثر من المقابلة والتّقسيم)) [7].

ونقف هنا عند بعض الجوانب التي أضفت على أسلوب الجاحظ جماليَّةً خاصّة، فمن ذلك الدّقّة المتناهية في اختيار ألفاظ متناسبة مع المعنى، ومعبّرة عنه أصدق تعبير. ونجد هذا في وصفه الكتاب الّذي يعتبر من أروع ما قيل. يقول: ((ولا أعلم جارًا أبرّ، ولا خليطًا أنصفَ، ولا رفيقًا أطوعَ، ولا معلِّمًا أخضعَ، ولا صاحبًا أظهرَ كفايةً، ولا أقلّ جنايةً، ولا أقلّ إملالاً وإبرامًا، ولا أحفل أخلاقًا، ولا أقلّ خِلافًا وإجرامًا، ولا أقلَّ غيبةً... من كتاب))[8].

فالكتاب إذًا هو الجار والخليط والرّفيق والمعلِّم والصّاحب والقرين، ولكلِّ اسم من هذه الأسماء معنى خاصّ به يختلف عن غيره. فالكتاب هو الجار يخالط جاره، ويرافقه في السَّفر، ويفيده علمًا، ويكنُّ له مودّة الصّحبة. وهو قرينه الذي لا يفارقه. ونجد الأمر نفسه في استخدامه المصادر، فلكلّ مصدر مكانه المناسب، بحيث لو غيَّرنا موضعه اختلَّ المعنى واضطرب النّظم. كما

(5) القلقشندي، أبو العبّاس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 1922م، ج14، ص 176.
(6) رسائل الجاحظ، ج3، ص 3.
(7) الشايب، أحمد: الأسلوب، ط3، مكتبة النهضة المصرية، 1966، ص 161.
(8) الحيوان، ج1، ص 41.

أنَّ عباراته موجزة وجمله قصيرة. فهناك سيطرة واضحة للتمييز وأفعل التفضيل. ومن يتابع قراءة وصفه الكتاب يلاحظ غلبة الجمل الإسميّة، وهدفه من ذلك تثبيت الحالة في أذهان القرَّاء.

كما نلاحظ سيطرة الجمل الفعليّة في وصفه إلحاح الذّباب، سواء كان ذلك في قصّة قاضي البصرة أم في القصّة التي حدثت مع الجاحظ نفسه. ففي قصة قاضي البصرة[9] يصوّر الجاحظ حركة الفاعل بتفصيلاتها، وينقل الحركات بشكل متتابع يجعلنا نشارك القاضي ضيقه وهو يدفع الذباب عن وجهه. فالجاحظ ينقل إلينا صورة دقيقة مفصّلة عن هذه المعركة، التي لا تعتمد على المهارة في اختيار اللفظ فحسب، بل تعتمد أيضًا على المهارة في تصوير الحركات الحسيّة والمشاعر النفسيّة.

أمّا جمل الجاحظ فهي قصيرة على الغالب، وواضحة المعنى، وقد تمتدّ فلا يقف بنا كلامه إلّا بعد شيء من التّعب. كقوله في وصف الكتاب: ((وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه، ويذهب العقل ويبقى أثره، ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها، وخلَّدت من عجيب حكمتها، ودوّنت من أنواع سيرها، حتى شاهدنا بها ما غابَ عنا، وفتحنا بها كلَّ مستغلق كان علينا، فجمعنا إلى قلينا كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركُه إلا بهم، لما حسن حظّنا من الحكمة، ولضَعُف سببنا إلى المعرفة)) [10].

وبذلك نكون قد بيَّنا أهمّ سمات الأسلوب الجاحظيّ في ذلك العصر، وقد تبعه في ذلك الكثير من المتأخّرين.

ب- طرائق العرض:

1- الحوار والمناظرة:

يتجلّى هذا في العديد من كتبه، خاصّةً الحيوان، إذْ نجد فيه مناظرات بين صاحب الكلب وصاحب الدّيك، وبين صاحب الكلب وصاحب القطّ، وبين صاحب الحمام وصاحب الدّيك. وقد ساق الجاحظ المناظرة بين صاحب الكلب وصاحب الدّيك في أكثر من مجلّد ونصف من كتاب الحيوان. وجاءت هذه المناظرة تعبيرًا عن الخصومة بين النّزعة العربيّة والنّزعة الشعوبيّة. وأورد فيها اسمين لكبار المتكلّمين هما: أبو إسحاق النّظّام ومعبد، وجعل أحدهما يدافع عن الكلب والثّاني يدافع عن الدّيك، وأعارهما آراءه فيهما.

ويمكننا تقسيم المناظرة إلى قسمين: الأوّل يدور حول الكلب، حيث يذكر الجاحظ معايبه ومحاسنه وأصنافه، ثم يعرض الحوار بين صاحب الكلب وصاحب الدّيك. ويهاجم صاحب الديك خصمه، فيردّ عليه صاحب الكلب مفنِّدًا انتقاداته. يقول صاحب

(9) الحيوان، ج3، ص 343- 345.
(10) نفسه، ج1، ص 42.

الدّيك في لؤم الكلب: ((من لؤمه أنه إذا أسمنته أكلك، وإن أجعته أنكرك، ومن لؤمه اتباعه لمن أهانه، وإلفه لمن أجاعه...))[11].

أمّا القسم الثاني من المناظرة فيدور حول الدّيك، ويعرض صاحبه محاسنه ثم ينتقل إلى الحوار مع خصمه. فمن خصال الدّيك ما جاء على لسان صاحبه، فقد قال: ((في الدّيك الشجاعة وفي الدّيك الصّبر عند اللّقاء... وفي الدّيك الجَوَلان وهو ضربٌ من الرّوغان وجنس من تدبير الحرب، وفيه النّقافة والتّسديد؛ وذلك أنّه يقدِّر إيقاع صيصته بعين الديك الآخر... وله مع الطعنة سرعة الوثبة والارتفاع في الهواء)) [12].

وفي البخلاء نجد الجاحظ شديد العناية بالحوار، والميل إلى الحوار طبيعيّ عند المعتزلة لأنّه محورٌ أساسيّ في تقديم الفكرة. وقد ساعدت المناظرات الكلاميّة الجاحظ على إتقان الحوار، ومكّنته من النّجاح في صياغته، وهذا ما يتّضح في قصّة عبدالله الخزاميّ التي يبدو فيها الجدل الفكريّ واضحًا. يقول: ((قلتُ له مرةً: قد رضيتَ بأن يقال: عبدالله بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم. قلتُ: وكيف؟ قال: لا يُقال فلانٌ بخيلٌ إلّا وهو ذو مال، فسلِّم إلي المال، وادعُني بأي اسم شئت. قلتُ: ولا يقالُ أيضًا فلانٌ سخيٌّ إلّا وهو ذو مال، فقد جمع هذا الاسم الحمدُ والمال، واسم البخيل يجمعُ المال والذمّ. فقد اخترت أخسَّهما وأوضَعَهما. قال: وبينهما فرق. قلتُ: فهاته. قال: في قولهم بخيل تثبيتٌ لإقامة المال في ملكه. وفي قولهم سخيٌّ إخبارٌ عن خروج المال من ملكه، واسم البخيل اسمٌ فيه حفظ وذمّ، واسم السّخيّ اسمٌ فيه تضييعٌ وحمد. والمال زاهر نافعٌ مكرمٌ لأهله معزٌّ، والحمدُ ريحٌ وسخريةٌ ...))[13].

2. المحاسن والمساوئ:

اتّبع الجاحظ أسلوبًا جديدًا في عرض أفكاره، وهو ذكر محاسن الشّيء ومساوئه، وكان ذلك الأسلوب أثرًا من آثار محيط المعتزلة الفكريّ؛ فقد شغف الجاحظ بالمقابلة في معانيه وأفكاره شغفًا شديدًا، فهو يعرف كيف يستعين بالمنطق، ويعرف كيف يحاور ويجادل متشبثًا بطريقة الحوار والجدل. فتكلّم كثيرًا على محاسن الأشياء، ثم عاد فتكلّم على مساوئها، ولعلّ خير ما يمثّل ذلك كتابُ "المحاسن والأضداد" المنسوب إليه.

(11) الحيوان، ج1، ص 280.
(12) نفسه، ج2، ص 233- 234. الثقافة: الحذق. الصيصة: شوكة في رجل الديك.
(13) البخلاء، ص 62.

وفي رسالته "الشّارب والمشروب" يتحدّث عن محاسن النّبيذ ومساوئه. فقال في محاسنه: ((الجيّد من الأنبذة يُصفِّي الذّهن... ويبعث الجودَ والسَّماحَ، ويمنع الطِّحالَ من العِظَم والمعدةَ من التَّخَم، ويَحِدر المرَّةَ والبلغَم، ويلطِّفُ دمَ العروق ويُجريه، ويرقُّه ويُصفيه، ويبسط الآمالَ، وينعم البالَ، ويفشِّي الغلظَ في الرئة، ويصفّي البشرة ويترك اللّون كالعصفر، ويحدر أذى الرأس في المُنخر...))[14].

فالجاحظ بيّن تأثير النبيذ الفعّال في الذّهن والجسم والنفس. ومن يقرأ تلك المحاسن يعتقد أنّه لا يوجد ما ينقضها، ولكنّ قدرة الجاحظ الفنيّة، وبراعته البيانيّة والبلاغيّة مكّنته من الوقوف عند نقائض تلك الصّفات. فمن مساوئ النّبيذ قوله: ((ومع كلِّ ذلك فهو يلجلج اللّسان، ويكثر الهذيان، ويظهر الفضول والأخلاط، ويناوب الكسل بعد النشاط، فأمّا إذا تبيّن في الرأس الميلان، واختلف عند المشي الرّجلان، وأكثر الإخفاقَ والتّخّع والبُصاق، واشتملت عليه الغفلة، وجاءت الزّلةُ بعد الزّلة، ... فتلك دلالات النّكر، وظهور علامات السّكر، ينسي الذّكر، ويورث الفكر، ويهتك السّتر...))[15].

وهذه الظّاهرة في الحديث عن الشّيء ونقيضه نجدها في معظم نتاجه، فقد تحدَّث الجاحظ عن الكتابة، والخطّ، وأدواتهما، وفضائلهما حديثًا طويلاً في الحيوان والمحاسن والأضداد، حيث قال في فضل الكتابة: ((... ولولا الكتب المدوّنة والأخبار المخلّدة، والحكمُ المخطوطةُ التي تحصّنُ الحساب وغير الحساب، لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النّسيان سلطان الذّكر، ولما كان للناس مفزعٌ إلى موضع استذكار. ولو تمّ ذلك لحرمنا أكثر النّفع... فأيُّ نفعٍ أعظمُ وأيُّ مرفق أعون من الخطِّ، والحالُ فيه كما ذكرنا...))[16].

ونوَّه إلى فضلِ القلم قائلاً: ((فلذلك وضع اللهُ عزّ وجل القلمَ في المكان الرّفيع، ونوَّه بذكره في المنصب الشّريف حين قال: ((ن والقلم وما يسطرون)). فأقسم بالقلم، كما أقسم بما يُخطُّ بالقلم ...))[17].

فإذا انتقلنا إلى رسالته في ذمّ أخلاق الكتّاب نجده ينقض ما سلف، ويرى أنّ الكتابة ليست شريفة والخطّ ليس فضيلة. ودليل ذلك هو عدم معرفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بها. يقول: ((ولو كانت الكتابةُ شريفةً والخطُّ فضيلةً كان أحقَّ الخلق بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان أولى النّاس ببلوغ الغاية فيها ساداتهم وذوو القدر والشّرف فيهم. ولكنّ الله منع نبيَّه صلّى

(14) رسائل الجاحظ، ج4، ص 264.
(15) نفسه، ج4، ص 265- 266.
(16) الحيوان، ج1، ص 47- 48.
(17) نفسه، ج1، ص 48.

الله عليه وسلّم ذلك. وجعل الخطّ فيه دنيةً، وصدَّ العلم به عن النبوّة، ثم صيَّر المَلِكَ في ملكه، والشّريف في قومه يتبجّح برداءة الخطّ... ويرتفع عن الكتاب بيده .وإن كان ماهرًا وكان ذلك عليه سهلاً . فيكلِّفه تابعه، ويحتشم من تقليده الخطير من جلسائه)) [18].

وفي رسالته الشهيرة "التّربيع والتّدوير" نجده يتلاعب بفكرة الطول والقصر، وما ينبغي أن يكون من التوسّط بين الطّرفين. ويتَّسع الحوار والجدل في ذلك اتّساعًا شديدًا، فإذا هو يقف تارةً في جانب القصر يحتجّ له، وتارةً يقف في جانب الاعتدال، ويدلي في كلِّ جانب بالحجج والبراهين.

والحقّ أنّ باب الاحتجاج للشيء ونقيضه واسعٌ جدًّا، فنجد الجاحظ يحتجّ مرَّةً للعثمانيّة على الرّافضة، ومرةً للزيدية على العثمانيّة وعلى أهل السّنّة. ونراه حينًا يفضِّل عليّ بن أبي طالب على من سواه، وحينًا يؤخِّره. وقد ذكر له ياقوت في معجمه[19] رسالةً في مدح الكتّاب وأخرى في ذمّ الكتّاب، وله أيضًا رسالة في ذمّ الورّاقين وأخرى في مدحهم. وهذا كلّه يعود إلى المقدرة العقليّة، والبراعة في الاحتجاج، والافتتان البيانيّ الذي برع فيه وتميَّز به.

ج- منهج التّأليف وخصائصه:

1- الانتقال من موضوع إلى آخر (الاستطراد):

إنَّ الانتقال من موضوع إلى آخر أو الاستطراد من أهمّ خصائص الأسلوب الجاحظيّ، فهو دائم الانتقال من باب إلى باب، ومن خبر إلى خبر، ومن شعر إلى فلسفة، ومن جدٍّ إلى هزل، وقد وضّح الجاحظ منهجه في الحيوان، واحتجّ له مرارًا. فقال: ((وعلى أنّي قد عزمتُ – والله الموفّق – أن أوشِّحَ هذا الكتاب وأفصِّل أبوابه بنوادر من ضروب الشعر وضروب الأحاديث، ليخرج قارئ هذا الكتاب من باب إلى باب، ومن شكل إلى شكل، فإني رأيتُ الأسماع تملُّ الأصواتَ المطربة والأغاني الحسنة، والأوتار الفصيحة، إذا طال ذلك عليها، وما ذلك إلا في طريق الراحة، التي إذا طالت أورثت الغفلة)) [20].

فهو يرى في التّنويع في التّأليف وسيلة لدفع الملل والسّآمة. يقول: ((ولولا أنّي أتّكل على أنّك لا تملُّ باب القول في البعير حتى تخرج إلى الفيل، وفي الذرة حتى تخرج إلى البعوضة، وفي العقرب حتى تخرج إلى الحية، وفي الرجل حتى تخرج إلى المرأة،

(18) رسائل الجاحظ، ج2، ص 189- 190.
(19) معجم الأدباء، ج16، ص 109.
(20) الحيوان، ج3، ص 79.

وفي الذّبّان والنحل حتى تخرج إلى الغربان والعقبان، ... لرأيتُ أنّ جملة الكتاب، وإن كثر عدد ورقه، أنّ ذلك ليس ممّا يُمِلُّ، ويُعتَدُّ على ما فيه بالإطالة، لأنّه وإنْ كان كتابًا واحدًا فإنّه كتبٌ كثيرة، ... فإن أراد قراءة الجميع لم يطُلْ عليه الباب الأوّل حتى يهجم على الثّاني، ولا الثّاني حتى يهجم على الثّالث، فهو أبدًا مستفيدٌ ومستطرفٌ، وبعضه يكون جمامًا لبعض، ولا يزال نشاطه زائدًا. ومتى خرج من آي القرآن صار إلى الأثر، ومتى خرج من أثر صار إلى خبر، ثم يخرج من الخبر إلى الشّعر، ومن الشّعر إلى النّوادر، ومن النّوادر إلى حكم عقليّة ومقاييس سداد، ثم لا يترك هذا الباب... حتى يفضي به إلى مزح وفكاهة، وإلى سخف وخرافة..)) [21].

إلاَّ أنّ الجاحظ قد وضّح في حيوانه علّة الاستطراد، إذْ يقول: ((وقد صادف هذا الكتابُ منِّي حالاتٍ تمنعُ من بلوغ الإرادة فيه. أوّلُ ذلك العلّة الشّديدة، والثانية قلّةُ الأعوان، والثالثة طولُ الكتاب، والرّابعة أنّي لو تكلّفت كتابًا في طوله وعدد ألفاظه ومعانيه... لكان أسهل... فإن وجدت فيه خللاً من اضطراب لفظ ومن سوء تأليف، أو من تقطيع نظام، ومن وقوع الشيء في غير موضعه، فلا تنكر، بعد أن صورت عندك حالي التي ابتدأتُ عليها كتابي)) [22]

وهذا الأسلوب موجود في معظم نتاجه، خاصةً في كتابه " الحيوان "، وكتابه " البرصان والعرجان والعميان والحولان ". فبينما كان يتحدّث في كتابه الأخير عن العرجان استطرد إلى الحديث عن العرج من الحيوان، ثم استطرد إلى الحديث عن مشي الظّبي والجرادة والبرغوث، ومشي المجنون والعجوز والنّساء. فقال: ((يوصف مشي النّساء بضروب البقر، وإذا قاربت الخطو وحرّكت منكبيها شبّهوا مشيتها بمشي القطا))[23].

فالجاحظ إذًا التزم بسّنّة الاستطراد في تأليفه. فعندما نقرأ كتبه نجد الأفكار تندفع علينا من كلِّ صوب في تشعّب واضح، وقد ساعده على ذلك ثقافته الواسعة، وإلمامه بجميع معارف عصره من هنديّة وفارسيّة ويونانيّة وعربيّة. فالجاحظ قد اهتمّ بقارئه اهتمامًا كبيرًا، فاستطاع أن يقرّب معانيه منه، وأن يضعها في متناول يده بأسلوب بليغ لطيف.

2- المزاوجة بين الجدّ والهزل:

(21) الحيوان، ج1، ص 93- 94.
(22) نفسه، ج4، ص 208- 209.
(23) البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح عبدالسلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1410هـ/ 1990م، ص 219.

من المعروف أنّ الجاحظ صاحب مذهب مشهور في مزج الجِدّ بالهزل، والخروج بقارئه من أشدّ المسائل عمقًا وتعقيدًا إلى أيسر الموضوعات. فنراه يستطرد إلى شيء من النّوادر الطّريفة والفكاهات العذبة الخفيفة، وهو يدافع عن هذا الأسلوب في التّأليف، وله احتجاج متكرّر لجدوى تلك الطّريقة، واعتذاراته لقرّائه بسبب إقحامه الطّرائف والفكاهات كثيرةٌ مستفيضةٌ.

وقد استخدم الدّعابة وسيلةً للوصول إلى غايته في حمل القارئ على مطالعة كتبه، والإفادة منها دون الشعور بالثّقل والتّعب والملل. يقول: ((وقد غلطك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من فرح لم تعرف معناه، ومن بطالة لم تطّلع على غورها، ولم تدر لم اجتُلبت... ولأي جدٍّ احتُمل ذلك الهزل، ولأيّ رياضة تُجشّمت تلك البطالة، ولم تدر أنّ المزاح جِدٌّ إذا اجتُلب ليكون علّة للجِدّ، وأنّ البطالة وقارٌ ورزانةٌ، إذا تُكلّفت لتلك العاقبة))[24].

فهذا الأسلوب الفكاهيّ يخفّف عن القارئ صعوبة المعاني، وتسلسل الأفكار، بمنحه فرصة لاستعادة قواه، فهو يروِّح عن النّفس، ويسهّل سبيل القارئ من جهة، ومن جهة ثانية يُعتبر وسيلةً لإبداء رأيٍ ما، أو السّخرية من رأي ما، فهدف الجاحظ هو الجِدّ أوّلاً وأخيرًا.

يقول الجاحظ موضّحًا هذا الأسلوب: ((وإن كنا قد أمللناك بالجِدّ وبالاحتجاجات الصّحيحة والمروَّجة، لتكثر الخواطر، وتشحذ العقول – فإنّا سننشّطك ببعض البطالات وبذكر العلل الظّريفة، والاحتجاجات الغريبة، ... وسنذكر من هذا الشّكل علالاً، ونوردُ عليك من احتجاجات الأغبياء حججًا، فإن كنت ممّن يستعمل الملالة، وتعجل إليه السّآمة، كان هذا الباب تنشيطًا لقلبك، وجمامًا لقوّتك...))[25].

ومن يقرأ كتبه ورسائله يجده شديد العناية بقارئه، فهو يؤكّد بين الفينة والأخرى ضرورة مراعاة نفسيّة القارئ، ونجد هذا في مقدّمات رسائله، كما في "مفاخرة الجواري والغلمان"، و "نفي التشبيه"، و "النّساء" وغيرها. ففي رسالته "النّساء" يؤكّد ضرورة مزج الجدّ بالهزل، ويجعل منه مذهبًا لا بدَّ منه في الكتابة. يقول: ((... وللصبر غايةٌ، وللاحتمال نهايةٌ، ولا بأسَ بأن يكون الكتابُ موشَّحًا ببعض الهزل. وعلى أنّ الكتاب إذا كثُر هزلُه سخُف، كما أنّه إذا كثُر جدُّه ثَقُل. ولا بُدَّ للكتاب من أن يكون فيه بعضُ

(24) الحيوان، ج1، ص 37.
(25) نفسه، ج3، ص 5-6.

ما ينشِّطُ القارئ وينفي النّعاسَ عن المستمع. فمن وجد في كتابنا هذا بعض ما ذكرنا، فليعلم أنّ قصدنا في ذلك إنّما كان على جهةِ الاستدعاء لقلبه، والاستمالةِ لسمعه وبصره)) [26].

ويبيّن الجاحظ منهجه في تأليف كتابه البخلاء قائلاً: ((وقلتُ : اذكر لي نوادر البخلاء، واحتجاج الأشحّاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزل وما يجوز منه في باب الجدّ، لأجعلَ الهزلَ مستراحًا، والراحة جمامًا، فإن للجدّ كدًّا يمنع من معاودته، ولا بدّ لمن التمس نفعه من مراجعته)) [27].

وقد عبّر الدكتور زكي مبارك عن رأيه في أهميّة هذا الأسلوب، وفائدته في كتابة الجاحظ، حين قال: ((وفي رأيي أنّ الجاحظ وصل إلى درجة الغلوّ والإملال، ولولا أنّه كان يخلطُ في كتابته بين الجدّ والهزل والحلو والمرّ لانصرف الناسُ عنه، ولكنّه كان رجلاً عالمًا بطباع الناس وغرائزهم، فاستطاع بذلك أن يتملَّق أهواءهم وأذواقهم وأن ينسيهم برقة دعابته وحلاوة استطراده إسرافه في أسلوبه وتطويله الّذي عرف به واضطرّ للدفاع عنه في مقدّمة كتاب الحيوان)) [28].

فالجاحظ يريد من وراء هذا كلّه مصلحة قارئه، فهو يسعى إلى زيادة ثقافته، وتعميق أفكاره، وتلبية رغباته في الحصول على العلم والمعرفة بأيسر الطرق وأسهلها. وقد لفت هذا الأسلوب أنظارَ النقاد، وكان موضع هجوم ونقد.

3- استحضار وعي القارئ:

رأينا، من خلال ما سبق، مدى اهتمام الجاحظ بقارئه، حيث وضعه أمام ناظريه ينبهه، ويرشده، ويمهّد له الطّرق للحصول على المعرفة، ويعمل على توسيع مداركه للإفادة من كلِّ علم. وها نحن نراه يتوجّه إليه بخطاب مباشر ويضعه في ساحة التّأمّل والتّفكير، كما نجد في كتابه " العبر والاعتبار "، حيث يبدأ كلامه بصيغة الطّلب (تأمّل، فكّر)، فيستحضر وعي قارئه، ويدعوه للاستعداد والتهيُّؤ لتلقّي الفكرة والنّظر فيها من جميع جوانبها والوصول إلى العبرة منها. ففي حديثه عن عبرة خلق الشّمس، يطلب من القارئ التفكّر في طلوعها وغروبها وارتفاعها وانخفاضها لإقامة أزمنة السّنة (الشّتاء والصّيف، والرّبيع والخريف)، وما في ذلك من المنفعة، ثم يدعوه إلى التأمّل في شروقها على العالم دون اقتصارها على موضع واحد. يقول: ((فكّر في طلوع الشّمس المنيرة وغروبها لإقامة دولتيّ اللّيل والنّهار، فلولا طلوعها لبطل أمرُ العالم كلّه فكيف كان النّاس يسعون في معايشهم ويتصرّفون في أمورهم والدّنيا مظلمةٌ عليهم؟ وكيف كانوا يهنؤون بالحياة مع فقدهم النّور ولذّته وروحه؟... ولكن تأمّل المنفعة

(26) رسائل الجاحظ، ج3، ص 153.
(27) البخلاء، ص 1.
(28) مبارك، زكي: النثر الفني في القرن الرابع الهجريّ، مطبعة السعادة، مصر، 1352هـ/ 1934م، ج1، ص 62.

في غروبها، لم يكن للناس هدوءٌ ولا قرارٌ ولا راحةٌ مع عظم حاجتهم إلى ذلك لراحة أبدانهم وجموم حواسهم، وانبعاث القوّة الهاضمة للطعام... تأمّل شروق الشّمس على العالم كيف دُبِّر؟ فإنها لو بزغت في موضع من السّماء، ووقفت فيه لم تتعدّه، لما وصل شعاعُها إلى كثير من الجهات...))[29].

وفي كتابه البيان والتّبيين يوصي الجاحظ قارئه أن يهتمّ بميوله، فإذا وجد لديه ميل نحو التماس البيان والتّبيين فعليه أن يجتهد لتحصيلهما وكسبهما، إذا كانا يوافقانه ويشاكلانه. يقول: ((وأنا أوصيك ألاَّ تدع التماس البيان والتّبيين إن ظننت أنّ لك فيهما طبيعة، وأنّهما يناسبانك بعض المناسبة، ويشاكلانك بعض المشاكلة، ... وإن كنت ذا بيانٍ وأحسست من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة، وبقوة المُنَّةِ يوم الحَفْل، فلا تقصر في التماس أعلاها سورة، وأرفعها في البيان منزلةً)) [30].

نستنتج ممّا سبق شدّة اهتمام الجاحظ بمتلقّيه، فالمتلقّي، عنده، عنصرٌ أساسيٌّ يجب مراعاة رغباته وطموحاته، والعناية بتوجيهه، ليحيا حياةً علميةً عمادها العقل الحرّ المنظَّم، لذلك فإنّنا لا نكاد نقرأ صفحة من كتبه ورسائله إلّا وتصادفنا الإشارة إلى ضرورة الاهتمام بالقارئ.

بعد داستنا لأسلوب الجاحظ وطرائقه في العرض ومنهجه في التّأليف، سندرس الآن التّأثير الّذي تركه نتاج الجاحظ الأدبيّ والفكريّ في مجال الأسلوب وطرائق العرض، ونشير إلى الأدباء و النقّاد والبلغاء الّذين تأثّروا بأسلوب الجاحظ.

أ- الأسلوب وخاصيّاته:

وهنا سنشير إلى بعض الأدباء الّذين اقتفوا أثر الجاحظ في أهمّ مزايا أسلوبه ومنهم أبو الفضل محمّد بن الحسين بن العميد (- 360هـ)، الّذي حاز منزلة عالية في عالم الأدب والسياسة، فقد قرن المركز العالي بأدب عالٍ، دفع معاصريه إلى أن يلقّبوه بالأستاذ العميد، وقد قال الثّعالبيّ (- 429هـ) إنّه: ((... يدعى الجاحظ الأخير، والأستاذ الرّئيس، يُضرب به المثل في البلاغة ويُنتهى إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة، مع حسن التّرسّل وجزالة الألفاظ وسلاستها إلى براعة المعاني ونفاستها، وما أحسن وأصدق ما قال له الصّاحب، وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها، بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد))[31].

(29) العبر والاعتبار، ص 32- 33.
(30) البيان والتّبيين، ج1، ص 200.
(31) الثعالبيّ، عبد الملك بن محمّد محمّد إسماعيل: يتيمة الدّهر، ط1، 1353هـ/ 1934م، ج3، ص 137.

وإذا دقّقنا النّظر في رسائله نجد أنَّ أهمّ مزايا أسلوبه توازن الجمل وقصرها، وتقطيعها تقطيعًا موسيقيًّا جميلاً. يقول في إحدى رسائله إلى أحد إخوانه، وهو أبو العلاء السّروريّ: ((كتابي وأنا مترجِّح بين طمع فيك، ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنّك تدلّ بسابق حرمة، وتمتّ بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية، ويقتضي محافظة وعناية... وأتوقّف عن امتثال بعض المأمور فيك، ضنًّا بالنّعمة عندك، ومنافسة في الصّنيعة لديك، وتأميلاً لفيئتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك، فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويغرب اللّبّ ثم يثوب، ويذهب العزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الرأي ثم يُستدرك ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو، وكل ضيقة إلى رخاء، وكلّ غمرة فإلى انجلاء...))[32].

نلاحظ قصر عباراته وتوازنها، إضافةً إلى التّرادف، الذي كان من أهمّ مميّزات هذه الرّسالة، ونجده في قوله: ((فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويغرب اللّبّ ثم يثوب، ويذهب العزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الرّأي ثم يستدرك... انجلاء)).

كما اعتمد أبو هلال العسكريّ هذا الأسلوب المتوازن في كتابه "سرّ الصّناعتين"، فنرى تعادل الفقرات جليًّا في الكثير ممَّا أورده في كتابه، كقوله في التّوشيح: ((... وهو أن يكون مبتدأ الكلام يُنبئ عن مقطعه، وأوّلُه يخبر بآخره، وصدره يشهد بعجزه، حتى لو سمعت شعرًا، أو عرفت رواية، ثم سمعت صَدْر بيتٍ منه وقفتَ على عَجُزه قبل بلوغ السّماع إليه، وخير الشّعر ما تسابق صدوره وأعجازه، ومعانيه وألفاظه، فتراه سلسًا في النّظام، جاريًا على اللّسان لا يتنافى ولا يتنافر، كأنّه سبيكة مفرغة أو وشي منمنم، أو عقد منظم من جوهر متشاكل، متمكّن القوافي غير قلقة، وثّابة غير حرجة، ألفاظه متطابقة، وقوافيه متوافقة، ومعانيه متعادلة، كلّ شيء منه موضوع في موضعه، وواقع في موقعه...))[33].

كما أنَّ التّوحيديّ يسير على نهج أستاذه في اتّباع هذا الأسلوب المتوازن، ونلمح هذا في كتاباته القصصيّة والفلسفيّة، كقوله في النّاموس الإلهيّ في المقابسة الرّابعة من كتابه المقابسات: ((لا بدّ في وضع الناموس الإلهي – الذي يتوخّى به، إفاضة الخير – من الأخبار التي تنقسم بين ما هو صدق محض وبين ما هو صدق ممزوج، وتكون الألفاظ التي تدور بها، واللّغات التي ترجع إليها كثيرة الوجوه، سمحة عند التّأويل. وإنَّما وجب ذلك لأنَّ النّاس في أصل جبلَّتهم، وبدء خلقهم... قد افترقوا

(32) يتيمة الدهر، ج3، ص 145- 146.
(33) سرّ الصناعتين، ص 382.

مجتمعين واجتمعوا مفترقين، واختلفوا مؤتلفين، وائتلفوا مختلفين، وأحساسهم متوقدة، وظنونهم جوالة، وعقولهم متفاوتة، وأذهانهم عاملة، وآراؤهم سانحة، وكلّ متفرّد بمزاج وشكل، وطباع وخلق، ونظر وفكر، وأصل وعرق، ...))[34].

ويحتذي حذو الجاحظ في الإطناب والإطالة في تصوير الفكرة، وتوليد المعاني منها، حتى لا يدع لقائل بعده قولاً. فمن ذلك قوله في المقابسة الأربعين عن العلم: ((العلم إلاهية في البشر، لأنّه بساط العمل الصّالح، والحقّ المعتمد، والخلق الطّاهر، والطّاعة الحسنة، والراحة في العاقبة، ومن عري من العلم ولزم العمل، كان كخابط، ما يفوته أكثر ممّا يجده، وما يفسده أكثر ممّا يصلحه. ومن لزم العلم وخلا من العمل، كان كلابس ثوبي زور، والعلم فنون، وأشرفه معرفة الحقّ الأول. والعمل ضروب وأشرفه ما كان في التشبّه بالحقّ الأوّل. والعلم قوام المعقول، والعمل قوام المحسوس ولولا الحسّ لاستغني عن العمل، لأنّ العمل إنّما هو في رياضة النّفسين اللّتين تعاندان النّفس النّاطقة، أعني الشّهويّة والغاضبة، فأمّا العلم فهو كلّه في تقديس المعقول بالفعل، والتشوّق إليه وطلب الاتّصال به... والعمل مقوّم للقوى الّتي تزيغ كثيرًا ...))[35].

إنّ الّذين اتّبعوا هذا الأسلوب كُثر، ولعلّ مردّ ذلك بساطة هذا الأسلوب وسهولته، وقربه من مدارك الناس وأفهامهم.

ب- طرائق العرض:

1- الحوار والمناظرة:

كان الحوار بارزًا لدى الكثير من المتأخّرين، ولكن بدا واضحًا عند التّوحيديّ، الذي قلّد الجاحظ في كلِّ شيء، فالحوار كان بارزًا في الإمتاع والمؤانسة، فكثيرًا ما أخذ الحديث بين التّوحيدي والوزير ابن العارض شكل الحوار. وكذلك الأمر في المقابسات، فقد دار الحديث في المقابسة الثّامنة والثّمانين حول البلاغة، فقال: ((سألت أبا سليمان عن البلاغة ما هي؟... فقال: هي الصّدق في المعاني، وائتلاف الأسماء والأفعال والحروف، وإصابة اللّغة، وتحرِّي الملاءمة والمشاكلة، برفض الاستكراه، ومجانبة التعسّف. فقال له أبو زكريا الصّيمريّ: قد يكذب البليغ ولا يكون كذبه خارجًا من بلاغته، فقال: ذلك الكذب، وقد ألبس ثوب الصّدق، وأعير عليه حلّة الحقّ. فالصّدق حاكم، وإنّما يرجع معناه إلى الكذب الذي هو مخالف لصورة العقل، النّاظم للحقائق، المهذِّب للأغراض، المقرِّب للبعيد، المحضر للقريب، فقلتُ لأبي سليمان: فهل بلاغة أحسن من بلاغة العرب؟

(34) المقابسات، ص 83.
(35) نفسه، ص 143.

فقال: هذا لا يبين لنا إلاَّ بأن نتكلَّم بجميع اللّغات، على مهارة وحذق، ثم نضع القسطاس على واحدة واحدة منها، حتى نأتي على آخرها وأقصاها، حتى نحكم حكمًا بريئًا من الهوى والتّقليد والعصبيّة والمنشأ ...))[36].

وكذلك فقد اتّبع التّوحيديّ أسلوب المناظرة، فنحن نقرأ في الإمتاع والمؤانسة المناظرة الّتي جرت بين أبي سعيد السّيرافيّ ، ومتّى بن يونس القنائيّ في المفاضلة بين النّحو العربيّ، والمنطق اليونانيّ.

وهناك أيضًا وصف طويل لآراء العلماء في الشعوبيّة، والمفاضلة بين الأمم، اتّخذ شكل الحوار والجدل. كما نقرأ في العقد الفريد لابن عبد ربّه عددًا من المناظرات التي دارت بين العرب والفرس[37].

ونجد أيضًا عند ابن الفقيه الهمذاني مناظرة بين صاحب النّخلة وصاحب الحبلة، إذْ بحث ابن الفقيه في فضل الحبلة على النّخلة، مقتفيًا أثر الجاحظ في اتّباع هذا الأسلوب لعرض الفكرة. حيث قال: ((وللحبلة أفضل من النّخلة، وللعنب أحلى من الرّطبة، وللزبيبة أطيب من التّمرة... والكرمة أفضل الأشجار، والعنب سيّد الثمار، وهي ناعمة الورق، ناضرة الخضرة. غريبة تقطيع الورقة، بديعة الزوايا، مليحة الحروف، حسنة المقادير... ومن أصحّ الدلائل على ذلك وأوضح البرهانات له وصف ربّ العالمين لها باللّذة، وإجماع محلِّليها ومحرِّميها على تقديمها في الطّيب، وتفرّدها بطيب النّكهة وصفاء اللّون، وسلس المذاقة، وسهولة المجرى، ولذاذة الطّعم...))[38].

2- المحاسن والمساوئ:

تحدَّث الجاحظ عن محاسن الشّيء ومساوئه. فمن ذلك ما جاء في ثنايا كتبه ورسائله، كما ورد في كتابه الحيوان، وفي رسالته "الشّارب والمشروب"، أو خصَّص في ذلك كتابًا ككتاب "المحاسن والأضداد".

وجاء البيهقيّ (265- 320هـ) ليكتب في الموضوع ذاته، فنراه متأثّرًا بالجاحظ إلى حدٍّ كبير في كتابه "المحاسن والمساوئ"، فمن خلال المقارنة بين كتابه وكتاب الجاحظ المحاسن والأضداد يتبيّن لنا أنَّ هنالك اثنين وعشرين موضوعًا مشتركًا بين الطّرفين، وليس هناك تغيير سوى بعض التّقديم والتّأخير في أقوال الأدباء والشعراء والحكماء التي تخدم الفكرة.

(36) المقابسات، ص 261- 262.
(37) انظر: العقد الفريد، ج3، ص330- 331.
(38) مختصر كتاب البلدان، ص114، 115، 120.

وكان البيهقي ينقل ما كتبه الجاحظ دون الإشارة إلى ذلك في معظم الأحيان، كما جاء في محاسن الشّكر، فقد نقلها بكاملها من المحاسن والأضداد[39].

وكان يعترف بنقله عن الجاحظ في مواضع قليلة جدًّا، كما جاء في محاسن حفظ اللّسان وفي مساوئ المكاتبات. حيث قال: ((قال الجاحظ: كتب ابن المراكبي إلى بعض ملوك بغداد: جُعلت فداك برحمته)) [40].

وفي بعض الأحيان كان يجري تغييرًا بسيطًا في عنوان الموضوع المدروس، كما جاء في موضوع "محاسن الحنين إلى الوطن"[41]. بينما جاء بعنوان "محاسن حبّ الوطن" في المحاسن والأضداد. وكما ورد أيضًا في محاسن صفة الدّنيا[42] في المحاسن والمساوئ، بينما كان بعنوان محاسن فضل الدّنيا في المحاسن والأضداد.

إضافة إلى ذلك فقد نقل البيهقيّ من حيوان الجاحظ في مواضع متعدّدة. فمن ذلك ما نقله في محاسن النّتاج ومساوئه، فاعتمد طريقة التّقديم والتّأخير في الأقوال[43].

ونقل من الحيوان محاسن الكتب، وتصرَّف في النّصّ تصرّفًا ملحوظًا. فقد قال: ((قال الجاحظ: الكتاب نعم الذّخر والعقدة... ونعم الأنيس ساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين ونعم الدّخيل... وإن شئت كان أعيا من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت بكيت من مواعظه...))[44].

أمّا مواضع التّصرّف فهي العدّة وليس العقدة في قوله "نعم الذّخر والعقدة"، وأشجتك مواعظه وليس بكيت من مواعظه[45].

كما نقل أيضًا من كتاب التاج في أخلاق الملوك، كما نرى في محاسن تأديب الولد[46].

ج- منهج التّأليف وخصائصه:

1 - الانتقال من موضوع إلى آخر (الاستطراد):

(39) انظر: البيهقي، إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوئ، تح محمد سويد، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1988/1408م، ص 148- 152، وانظر أيضًا: الجاحظ، عمرو بن بحر: المحاسن والأضداد، ط2، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1330هـ، ص 30.
(40) نفسه، ص 505.
(41) نفسه، ص 342.
(42) نفسه، ص 404.
(43) المحاسن والمساوئ، ص 129- 133.
(44) نفسه، ص 13.
(45) الحيوان، ج1/ 38- 39.
(46) انظر: المحاسن والمساوئ، ص 609.

هذه الخاصية كانت من أهمّ خصائص الآثار الأدبية بعد الجاحظ، وقد بدا ذلك واضحًا في كتب الاختيارات، إلاَّ أنَّ ابن قتيبة قد أقرّ في مقدّمة كتابه عيون الأخبار بمنهجه في التّرتيب والتّبويب، حين قال: ((وقرنتُ الباب بشكله والخبر بمثله، والكلمة بأختها ليسهل على المتعلّم علمها، وعلى الدّارس حفظها، وعلى النّاشد طلبها، وهي لقاح عقول العلماء، ونتاج أفكار الحكماء، وزبدة المخض وحلية الأدب...))[47].

أمّا ابن عبد ربّه فكان ينتقل من موضوع إلى آخر، وكثيرًا ما كان يكرِّر الخبر مرتين أو ثلاث مرات لصلاحيته للدلالة في أكثر من موضوع واحد، كما جاء في كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك، حول تبجيل الملوك وتعظيمهم، وقد كرَّر ذلك في كتاب الياقوتة في العلم والأدب، حول أدب الملوك[48]. ومع ذلك فإنّا لا نعدم التقسيم والتبويب في موضوعات كتابه.

وإذا جئنا إلى التّوحيديّ فنجده قد قلَّد الجاحظ في كلِّ شيء حتى في منهج التّأليف، فنرى انعدام الوحدة الموضوعيّة في كتبه، ممّا يؤدّي إلى الاستطراد وحشر الموضوعات المتنوّعة. وإذا كانت حجّة الجاحظ في ذلك هي دفع الملل والسّأم عن القارئ، فتلك كانت حجّة التوحيديّ أيضاً. يقول: ((وإنَّما أقلّبك من فنّ إلى فنّ لَئِلّا تملَّ الأدب، فإنّه ثقيل على من لم تكن داعيتُه من نفسه)) [49].

فموضوعات كتبه متنوّعة أشدّ التّنوّع، ففي البصائر والذخائر ((ستشرف على رياض الأدب، وقرائح العقول، من لفظٍ مصون، وكلام شريف، ونثر مقبول، ونظمٍ لطيف، ومثل سائر، وبلاغة مختارة، وخطبة محبّرة، وأدب حلو، ومسألة دقيقة، وجواب حاضر، ومعارضة واقعة، ودليل صائب، وموعظة حسنة، وحجة بليغة، وفقرة مكنونة... وقولٍ منقّحٍ، وهزلٍ شيب بجدٍّ، وجدٍّ عُجِنَ بهزل)) [50].

فكتابه البصائر والذخائر محشوّ بالموضوعات المختلفة، التي لا تخضع لترتيب وتبويب. وكانت دراسته للمسائل مقتضبة غير ممحّصة. وهذا التنوّع والاستطراد نجده في معظم كتبه، مثل مثالب الوزيرين، الصّداقة والصّديق، الإمتاع والمؤانسة، المقابسات.

(47) عيون الأخبار، ج1، صح.
(48) انظر: العقد الفريد، ج2، ص 3-4، ص 261.
(49) البصائر والذخائر، ج1، ص 99.
(50) نفسه، ج1، ص 3.

ففي الإمتاع والمؤانسة تتنوّع الموضوعات دون أن تخضع لترتيب أو تبويب، وإنَّما تخضع لخطرات العقل وشجون الحديث. فنجد في الكتاب الأدب، والفلسفة، والحيوان، والمجون، والأخلاق، والبلاغة، والتّفسير، والحديث، والسّياسة، وتحليل بعض شخصيات العصر من الفلاسفة والأدباء والعلماء، ففي الليلة الرابعة تحليل طويل لشخصية ابن عباد.

وفي الصّداقة والصّديق يتشعّب التّوحيدي في حديثه، وينتقل من موضوع إلى آخر، من الكلام على الصّداقة إلى الكلام على الأخلاق، ثم ينتقل إلى الحديث عن تحوّل الأزمان والأحوال، ويطيل الحديث في العتاب ذاكرًا مساوئه ومغبّته[51].

فالتوحيديّ سار على نهج الجاحظ في التّأليف. وكانت كتب الجاحظ من المصادر الأساسيّة في تأليفه، فنحن نرى في كتب التوحيديّ ملامح من البيان والتّبيين الّذي ضمّ مختارات من الأدب، والآيات القرآنيّة، والحديث، والشّعر، والحكمة، يتخلّل ذلك كلّه التنوّع والاستطراد، وتلك كانت سنّة الجاحظ. فكتب التوحيديّ إذًا صورة عن الطّريقة التّأليفيّة الجاحظيّة المتّسمة بالشمول والفوضى وعدم التبويب والتّرتيب. وإذا كان الجاحظ قد اعتذر عن فوضاه بالمرض، وقلّة الأعوان، وطول الكتاب، وصعوبة الموضوعات، فكذلك فعل التّوحيدي عندما اعتذر لقرّائه عن الفوضى والاستطراد. فقال: ((وإنّما نثرتُ هذه الفواتح على ما اتّفق، وقد كان الرّأي نظم كلّ شيء إلى شكله، وردّه إلى بابه، ولكن منع منه ما أنا مدفوع إليه من تشتّت بالي، والتواء مقصدي، وفقد ما به يُمسك الرّمق، ويُصان الوجه، لاعوجاج الدّهر، واضطراب الحبل، وإدبار الدّنيا بأهلها، وقرب السّاعة إلينا)) [52].

ويمكننا أن نضمّ إلى ذلك كتاب الأمالي أو غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى (-436هـ). فهو يسلك مسلك الجاحظ في بيانه، والكتاب عبارة عن مجالس مختلفة، أملاها في أزمان متعاقبة، تنقّل فيها من موضوع إلى موضوع، ومن غرض إلى غرض، متخلّلاً ذلك العديد من الطّرائف النّادرة، والأجوبة الحاضرة المسكتة. ففي حديثه عمن أرتج عليه في خطبةٍ أو كلام قصد له، نجده يستطرد إلى ذكر قصة قاضي البصرة عبدالله بن سوّار، التي أوردها الجاحظ في حيوانه[53].

أمَّا كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصريّ القيروانيّ، الذي جمع النوادر والفكاهات والطّرف، فكثيرًا ما كان يستطرد صاحبه إلى المختار من الشّعر والجيّد من النّثر؛ كأن يتحدّث عن مستجاد ما قيل في البخل، وهو قول أبي نواس في إسماعيل بن ينبخت، أو أن يستطرد إلى الحديث عن الجاحظ، فيتوقّف عند خبر مرضه، ثم يشير إلى كثرة بحثه وتنقيبه، فيقول: ((

(51) انظر: الصداقة والصديق، تح إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، 1964م، ص 226- 227.
(52) البصائر والذخائر، ج1، ص 60.
(53) انظر: العلوي، الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي: أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1373هـ/ 1954م، ج2، ص 105- 107. وانظر الحيوان، ج3، ص 343.

وهذا يدلّ على كثرة بحثه وتنقيره، إذْ كان وهو في هذه السّنّ العالية، والفالج الشّديد، تُنشر عنده الأخبار، ولا تطوى عنه الأسرار، فكيف كان قبل هذا؟))[54].

2- المزاوجة بين الجدّ والهزل:

كان لهذا المنهج تأثير كبير، كسابقه، فكثر مقلِّدوه في الأدب العربيّ. فها هو ابن قتيبة يعتمد هذا الأسلوب في كتابه عيون الأخبار مصرّحًا بالإتيان بما هو مضحك خوف الملل والسّأم الذي يصيب القارئ. فقال في مقدّمة كتابه: ((ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة، وخطبة لطيفة، وكلمة معجبة، وأخرى مضحكة، لئلّا يخرج عن الكتاب مذهب سلكه السّالكون، وعروضٌ أخذ فيها القائلون، ولأروِّح بذلك عن القارئ من كدِّ الجدِّ وإتعاب الحقّ، فإنَّ الأذنَ مجاجة، وللنفس حمضةٌ، والمزح إذا كان حقًّا أو مقاربًا ولأحاييه وأوقاته وأسباب أوجبته مشاكلاً، ليس من القبيح ولا من المنكر ولا من الكبائر ولا من الصّغائر، إن شاء الله))[55].

وقال في موضع آخر: ((وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة، وما رُوي عن الأشراف والأئمّة فيهما، فإذا مرَّ بك – أيّها المتزمِّت – حديث تستخفّه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له، فاعرف المذهب فيه وما أردنا به، واعلم أنَّك – إن كنت مستغنيًا عنه بتنسّكك – فإنّ غيرك، ممّن يرفض فيما تشدّدت فيه، محتاج إليه، وإنّ الكتاب لم يعمل لك دون غيرك. فيهيّأ على ظاهر محبّتك...))[56].

وكذلك فإنّ محمّد بن يزيد المبرّد في كتابه الكامل – الذي جمع ضروبًا من الآداب ما بين شعر ونثر ومثل سائر وخطب ورسائل ومواعظ وغيرها – قد جمع بين الجدّ والهزل، حيث قال في صدر بابٍ من أبواب كتابه: ((نذكر في هذا الباب من كلِّ شيء لتكون فيه استراحة للقارئ، وانتقال ينفي الملل ، لحسن موقع الاستطراف، ونخلط ما فيه من الجدّ بشيء يسير من الهزل، ليستريح إليه القلب، وتسكن إليه النّفس)) [57].

(54) جمع الجواهر، ص 204.
(55) عيون الأخبار، ج1، ص 5.
(56) نفسه، ج1، ص ل.
(57) الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف، ج2، ص 2.

وأيضًا فقد سلك التّوحيدي السبيل نفسه في المزاوجة بين الجدّ والهزل. فقال: ((إيّاك أن تعاف سماع الأشياء المضروبة بالهزل، الجارية على السّخف، فإنّك لو أضربت عنها جملةً لنقص فهمُك، وتبلّد طبعُك، ولا يفتق العقل شيء كتصفّح أمور الدّنيا، ومعرفة خيرها وشرّها، وعلانيتها وسِرّها... فإنّك متى لم تذق نفسك فرح الهزل كربها غمُّ الجِدّ...))[58].

ونجده يدعو إلى الهزل والدّعابة؛ نظرًا لحاجة النّفس إلى ذلك، فيقول في اللّيلة الأولى من الإمتاع والمؤانسة: ((إنَّ النفس تملُّ، كما أنّ البدن يكلُّ، وكما أنّ البدن إذا كلّ طلب الرّاحة، كذلك النّفسُ إذا ملّت طلبت الرّوح، وكما لابدّ للبدن أن يستمدّ ويستفيد بالجمام الذّاهب بالحركة الجالبة للنصب والضّجر، كذلك لابدّ للنّفس من أن تطلب الرّوح عند تكاثف الملل الدّاعي إلى الحرج)) [59].

لذلك نراه يختم مجالسه مع الوزير ابن العارض في كتابه الإمتاع والمؤانسة بالفكاهة والدّعابة، ونجده يخصّص اللّيلة الثّامنة عشرة للمجون والفكاهة، قائلاً على لسان الوزير: ((تعال حتى نجعل ليلتنا هذه مجونيّة، ونأخذ من الهزل بنصيب وافر، فإنّ الجدّ قد كدّنا، ونال من قوانا، وملأنا قبضًا وكربًا. وربّما عيب هذا النّمط كلّ العيب، وذلك ظلم، لأنّ النّفس تحتاج إلى بشر، وقد بلغني أنّ ابن عباس كان يقول في مجلسه بعد الخوض في الكتاب والسّنة والفقه والمسائل: احمضوا، وما أراه أراد بذلك إلّا لتعديل النّفس، لئلّا يلحقها كلال الجدّ، ولتقتبس نشاطًا في المستأنف، ولتستعد لقبول ما يرد عليها فتسمع)) [60].

وكثيرةٌ هي الكتب التي اتّبعت هذا المنهج، ككتابي زهر الآداب وثمر الألباب، وجمع الجواهر للحصريّ القيروانيّ. فقال في الكتاب الأوّل: ((... وتظهر في التّجميع إفادة الاجتماع، وفي التّفريق لذاذة الإمتاع، فيكمل منه ما يونق القلوب والأسماع، إذ كان الخروج من جدٍّ إلى هزلٍ، ومن حزن إلى سهل أنفى للكلل. وأبعد من الملل، وقد قال إسماعيل بن القاسم:

لا يصلح النّفس إذ كانت مدابرةً إلّا التّنقُّل من حال إلى حال)) [61]

وقد أشار الخطيب البغداديّ في مقدّمة كتابه "التّطفيل وحكايات الطّفيليّين" إلى أهميّة الملح والنوادر في التّرويح عن النّفس، وتخفيف ثقل الجدّ عن القارئ. فقال: ((ولم تزل أفاضل النّاس وأكابرهم تعجبهم الملح، ويؤثرون سماعها، ويهشّون إلى المذاكرة بها، لأنّها جمام النّفس ومستراح القلب، وإليها تصغي الأسماع عند الحادثة، وبها يكون الاستمتاع في المؤانسة)) [62].

(58) البصائر والذخائر، ج1، ص 60.
(59) الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص 27.
(60) نفسه، ج2، ص 50.
(61) زهر الآداب، ج1، ص2. إسماعيل بن القاسم: هو أبو العتاهية.

3- استحضار وعي القارئ:

وكما كان الجاحظ يتوجّه إلى القارئ اهتمامًا به، وتأكيدًا لدوره في عملية التّلقّي، فكذلك نجد هذا الأسلوب كثير الظّهور في كتب المتأخّرين، فإذا وقفنا عند الغزاليّ في كتابه "الحكمة في مخلوقات الله" نراه يتوجّه إلى القارئ، ويحاوره، ويستحضر وعيه بين الحين والآخر، فيدعوه إلى التأمّل والتفكّر في خلق الله، مستخدمًا صيغة معيّنة وهي "انظر، تأمّل؛ فكّر ". يقول في خلق الإنسان: ((انظر إلى الفم واللّسان وما في ذلك من الحكم: فجعل الشّفتين سترًا للفم، كأنّهما بابٌ يُغلق وقت ارتفاع الحاجة إلى فتحه، وهو سترٌ على اللّثة والأسنان، مفيد للجمال. فلولاهما لتشوّهت الخلقة، وهما يعينان على الكلام، وجعل اللّسان للنطق والتّعبير عمّا في ضمير الإنسان، وتقليب الطّعام، وإلقائه تحت الأضراس حتى يستحكم، ويسهل ابتلاعه)) [63].

ثم راح يحاوره ويناقشه في مسألة الكلام والكتابة هل هي أمر طبيعيّ أم مكتسب فيقول: (فإن قلت: إنّ الكلام والكتابة مكتسبة للإنسان، وليس بأمر طبيعيّ، ولذلك تختلف الخطوط بين عربيّ وهنديّ ورومي إلى غير ذلك، وكذلك الكلام هو شيءُ يصطلح عليه فلذلك اختلف. قلنا: ما به تحصل الكتابة من اليد والأصابع والكفّ المهيّأ للكتابة، والذّهن والفكر الذي يهتدى به ليس بفعل الإنسان، ولولا ذلك لم يكن ليكتب أبدًا، فسبحان المنعم عليه بذلك. وكذلك لولا اللّسان والنّطق الطبيعيّ فيه، والذّهن المركّب فيه لم يكن ليتكلّم أبدًا. فسبحان المنعم عليه بذلك)) [64].

كما اتَّبع المقدسيّ هذا الأسلوب في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أثناء حديثه عن بعض البلدان التي تتّفق أسماؤها وتختلف مواضعها، وفي حديثه عن خصائص بعض الأقاليم وعن المذاهب يقول في ذكر المذاهب: ((واعلم أنّ أصل مذاهب المسلمين كلّها منشعبة من أربع: الشّيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة، وأصل افتراقهم قتل عثمان، ثم تشعّبوا ولا يزالون مفترقين إلى خروج المهديّ)) [65].

الخاتمة:

(62) التطفيل وحكايات الطفيليين، ص 8.
(63) الحكمة في مخلوقات الله، ص 58.
(64) الحكمة في مخلوقات الله، ص 79.
(65) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 45.

وهكذا نكون قد بيّنا تأثير الأسلوب وطرائق العرض عند الجاحظ فيمن جاء بعده من الأدباء والبلغاء والنقّاد ،إذْ احتذوا حذوه في هذا الجانب بشكلٍ ملحوظٍ ودقيق وشايعوه في طرائقه الفنيّة في الكتابة والتّأليف. وكان مبعث ذلك كلّه تقدير فكر الجاحظ وأدبه وفنّه وأسلوبه والإيمان العميق بدقّة آرائه وقدراته العقليّة والأدبيّة والفنيّة في تناول القضايا المطروحة .

المصادر والمراجع :

أولاً – المصادر :

– البغداديّ، أحمد بن عليّ الخطيب:

– التّطفيل وحكايات الطفيليّين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، مطبعة التوفيق، دمشق /1346هـ/م.

. البيهقيّ، إبراهيم بن محمّد: المحاسن والمساوئ، تح محمّد سويد، ط1، دار إحياء العلوم، بيروت، (1408هـ/ 1988م).

– التوحيديّ، عليّ بن محمّد بن العبّاس:

. الإمتاع والمؤانسة، صحّحه وضبطه أحمد أمين، وأحمد الزّين، ج1–3، ط2، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، (د.ت).

– البصائر والذخائر، تح أحمد إبراهيم الكيلاني، ج1–4، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاد، دمشق، (د.ت).

– الصّداقة والصّديق، تح إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، /1964م/.

– المقابسات، تح محمد توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، ط1 بغداد، ط1 /1989م/.

– المقابسات، تح حسن السّندوبي، ط1، مطبعة الرحمانيّة، مصر (1347هـ/1929م).

– الثعالبيّ، عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل:

– يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، ج3، ط1، مطبعة الصّاوي، مصر، (1353هـ/ 1934).

– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

– البخلاء، تح طه الحاجريّ، دار المعارف، مصر، (د.ت).

– البرصان والعرجان والعميان والحولان، تح عبد السّلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، (1410هـ/ 1990م).

– البيان والتّبيين، تح عبد السّلام هارون، ج1–4، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

– الحيوان، تح عبد السّلام هارون، ج1–7، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (1356هـ/ 1938م).

– رسائل الجاحظ، تح عبد السّلام هارون، ج 1–2، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ج3–4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، /1979م/.

– الرّسائل الأدبيّة، قدّم لها وبوَّبها وشرحها علي أبو ملحم، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، /1987م/.

– الرّسائل السياسيّة، قدّم لها وبوَّبها وشرحها علي أبو ملحم، ، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، /1987م/.

– الرّسائل الكلاميّة، قدّم لها وبوَّبها وشرحها علي أبو ملحم، ، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، /1987م/.

– العبر والاعتبار، تح صابر إدريس، العرب للنشر والتوزيع، (د.ت).

– الحمويّ، ياقوت: معجم الأدباء، ج2، 4، 8، 14– 16، 18، الطبعة الأخيرة، دار المأمون، سلسلة الموسوعات العربية، (د.ت).

– ابن عبد ربّه، أحمد بن محمّد: العقد الفريد، ج 1–8، تح محمد سعيد العريان، دار الفكر، (د.ت).

– العسكريّ، أبو هلال: سرّ الصّناعتين، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم، علي محمّد البجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، (1371هـ/ 1952م).

– العلويّ، الشّريف المرتضى عليّ بن الحسين الموسويّ: أمالي المرتضى أو (غرر الفوائد ودُرَر القلائد)، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم، ج1–2، ط1، دار إحياء الكتب العربية، (1373هـ/ 1954م).

– الغزاليّ، أبو حامد محمّد بن محمّد:

– الحكمة في مخلوقات الله، تح محمّد رشيد رضا القبّاني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1 (1398هـ/ 1978م)، ط2 (1404هـ/ 1984م).

– ابن الفقيه، أحمد بن محمّد الهمذانيّ: مختصر كتاب البلدان، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1408هـ/ 1988م).

– ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:

– عيون الأخبار، ج 1–4، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة، (1343هـ/ 1924م).

– القلقشنديّ، أبو العبّاس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج14، دار الكتب المصرية، القاهرة، (1340هـ/ 1922م).

– القيروانيّ، إبراهيم بن عليّ الحصريّ:

– جمع الجواهر في الملح والنّوادر، تح عليّ محمّد البجاوي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، (1372هـ/ 1953م).

– زهر الآداب وثمر الألباب، تح علي محمّد البجاوي، ج1–2، ط2، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت).

– المبرّد، محمّد بن يزيد: الكامل في اللّغة والأدب والنّحو والتّصريف، تح زكي مبارك، ج1، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (1355هـ/ 1936م).

– المقدسيّ، محمّد بن أحمد بن البنّاء البشاريّ: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1408هـ/ 1988م).

ثانياً– المراجع :

– الشايب، أحمد: الأسلوب، ط6، مكتبة النهضة المصرية /1966م/.

– مبارك، زكي: النثر الفنيّ في القرن الرّابع الهجريّ، ج1، مطبعة السعادة، مصر، (1352هـ/ 1934م).

– المقدسيّ، أنيس: تطور الأساليب النثريّة في الأدب العربيّ، ج1، منشورات الدائرة العربية في جامعة بيروت الأميركية. (د.ت).